العدد السادس والعشرون
2009

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1377 من وفاة الرسول ﷺ 2009 مسيحي

- ملامح عن المذهب المالكي في الغرب الإسلامي
- الخطاب الإسلامي مميزاته والتحديات التي تواجهه
- الشيخ محمد عبده وصلاته بأعلام الإصلاح في المغرب الكبير
- اللغة وصناعة الهوية

الأنام

د/ ضو غمو
كلية الدعوة الإسلامية

للتعرف على معنى هذه الكلمة لابد من البحث عن معانيها في القواميس اللغوية التي تذكر المعاني المختلفة للكلمة الواحدة، ثم التوجه إلى التعرف على معانيها في سياق الكلام سواء من القرآن الكريم أو الشعر.

أولاً: معنى الأنام في قواميس اللغة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الخلق على ظهر الأرض من جميع الخلق»[1]، ويجوز في الشعر الأنيم.

وذكر صاحب ترتيب القاموس (الأنام) كسحاب، وساباط، وأمير، وتعني (الأنام) الخلق، أو الجن والإنس، أو جميع ما على وجه الأرض[2].

(1) ترتيب كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، بدون دار طبع، بدون طبع ولا تاريخ، مادة (الأنام).

(2) ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير، وأساس البلاغة، الطاهر الزاوي، ط2، الدار العربية للكتاب، 1980م، مادة (الأنام).

وقال الطاهر بن عاشور إنه اسم غير مشتق، وفيه لغات: هي أنام: كسحاب، أنام: كساباط، وأنيم: كأمير، وإنه اسم جَمْع لا واحد له من لفظه.

وهو في معانيها تلك إنما يقتبس من أقوال ابن عباس (رضي الله عنه)، ومن تفسير الزمخشري.

ووردت كلمة (الأنام) في آي القرآن الكريم مرة واحدة وهي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ سورة الرحمن، الآية: 10.

كما وردت هذه المفردة في شعر أمية بن أبي الصلت حيث قال:

لله نعمتنا تبارك ربنا ربّ الأنام ورب من يتأبد[1]

فكأنه ذكر (الأنام) جنساً لوحده، ثم أردف عليه من يتأبد من الحيوانات ذات الأرواح، وقد يتبادر إلى الذهن أن الأنام هم الخلق من إنس، وجنة، وما على الأرض ممن فيها روح، وهو ما مال إليه في الشرح صاحب مصنف علم البديع[2].

ثانياً: معنى الأنام في التفاسير:

عند تتبع المعاني التي ساقها المفسرون لهذه الكلمة وجدنا مايلي:

1 ـ الأنام: تعني الخلق، وكلمة الخلق هنا مطلقة من أي قيد بحيث ينصرف مفهومها إلى كل ما هو مخلوق من إنس ملائكة، وجان، وحيوان، وكل ذي روح، وجمادات وهذا المعنى قال به ابن عباس في أحد قوليه، فالأنام عنده: هم (الخلق)[3]، وتابعه في هذا أبو زكريا الفراء في تفسيره معاني القرآن[4]،

(1) عن علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، بيروت، دار النهضة العربية، 1405هـ ـ 1985م، ص142.

(2) نفس المرجع السابق، ونفس الصفحة.

(3) تفسير ابن عباس المسمى بصحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن، ط1، بيروت، 1411هـ ـ 1991م، ص474.

(4) معاني القرآن، أبو زكريا بن زياد الفراء، (م207هـ)، ط3، بيروت، 1403هـ ـ 1983م، بدون دار نشر. 3/ 113.

وقال أحمد رضا: الأنام «الإنس والجن، وما ظهر على الأرض من جميع الخلق، ويجوز في الشعر، الأنيم»[1]، ولم يسقْ هو ولا الفراهيدي شاهداً لهذا الجواز.

أما المعجم الوسيط: فلقد اكتفى بذكر معنى كلمة (الأنام) بأنها: «الخلق»[2].

أما صاحب النفيس من كنوز القواميس فلقد ذكر بأن معنى (الأنام) هو: ما ظهر على الأرض من جميع الخلق، ويجوز في الشعر (الأنيم)[3]، وقد تابع في هذا المعنى بتمامه ونصه معجم متن اللغة، السابق ذكره.

هذا ويذكر الشيخ الطاهر بن عاشور في تفسيره لكلمة (الأنام)[4]، وطبقاً لاقتباسه عن تفسير الزمخشري بأنه: «الخلق، وهو كل ما على وجه الأرض من دابة فيها روح».

كما قال في هذا التفسير: بأنه لم يذكرْ معناها [الأنيم]، لا الجوهري، ولا الراغب في مفردات القرآن، ولا ابن الأثير في النهاية، ولا أبو البقاء الكفوري في الكليات وهو محق فيما قال، حيث لم يذكر معناها أيضاً صاحب عمدة الحفاظ في تفسيره[5]، وكذلك الأخفش الأوسط في تفسير معاني القرآن[6].

---

(1) معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، أحمد رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1377هـ 1958م، بدون طبع، نفس المادة.

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، بدون دار للنشر، ولا بلد للنشر، ولا الطبع.

(3) النفيس من كنوز القواميس، صفوة المتن اللغوي من تاج العروس ومراجعه الكبرى، خليفة محمد التليسي، طبعة خاصة بالهيئة القومية للبحث العلمي، 2003م.

(4) تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م، 24/ 241.

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي المعروف بالسمين، (756هـ)، جمعية الدعوة الإسلامية، ط1، 1424 من ميلاد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، 1995مف.

(6) معاني القرآن، الحسن سعيد بن سعده المجاشعي البلخي البصري، الأخفش الأوسط (م215هـ)، ط2، 1404هـ ـ 1981م، بدون دار طبع، حققه الدكتور فائز فارس، 2/ 490.

وكذلك ابن جرير الطبري في أحد الأقوال التي جاء بها في تفسيره جامع البيان[1].

2 ـ المعنى الثاني لكلمة (الأنام) في التفاسير: هو المخلوقات ذات الروح، وهو عام فيما له نفس من إنس، وجان، وحيوان، ونبات أي صفة الحياة المحسة، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس في أحد قوليه[2]، وكذلك هو قول قتادة، وابن زيد، والشعبي، طبقاً لما ورد في تفسير البحر المحيط[3].

هو عين ما ورد في تفسير البيضاوي: حيث ذكر أن معنى (الأنام) الخلق، وقيل الأنام: كل ذي روح[4]، وذكر الرازي عند تفسير (الأنام) بأنه يجمع الإنسان وغيره من الحيوانات[5]، وهو أحد الأقوال التي ذكرت في تفسير البحر المحيط السابق ذكره.

3 ـ والمعنى الثالث لكلمة الأنام جاء بالقصر على مفهوم ما يدبُّ على وجه الأرض وهذا القول يحد معناها على الوصف الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة النور الآية 45.

---

(1) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (م210هـ)، بيروت، دار الفكر 1408هـ ـ 1988م، بدون طبع، 7/ 70.

(2) تفسير ابن عباس، ص474، مرجع سابق.

(3) البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (654هـ ـ 754هـ)، بيروت، دار الفكر، 1413هـ ـ 1992م، ص10/ 57.

(4) تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (685هـ)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2006 ف. 2/ 452.

(5) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ ـ 1981م، 29/ 98.

وإلى هذا المعنى أشار الزمخشري في تفسيره، حيث ذكر معنى (الأنام) بأنه «الخلق» وهو كل ما ظهر على الأرض من دابة فيها روح[1].

وتابعه في هذا المعنى صاحب الجامع لأحكام القرآن، وقال: إنه منقول عن الضحاك[2]، وكذلك الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير السابق ذكره.

4 ـ المعنى الرابع لكلمة (الأنام) يميل إلى تضييق الدائرة التي يشملها المعنى وذلك بحصرها في الثقلين، (الإنس والجان) هذا القول منقول عن الحسن في تفسير البحر المحيط[3]، والجامع لأحكام القرآن عن الحسن أيضاً[4].

5 ـ المعنى الخامس يشير إلى أن كلمة (الأنام) تعني بني آدم فقط، فلا يشترك معهم فيها غيرهم، وهذا القول منقول عن ابن عباس[5]، ولعله هو المعنى الذي رمى إليه أمية بن أبي الصلت عندما ذكر في الشطر الثاني من البيت [رب الأنام ورب من يتأبد].

وجملة هذه الأقوال تدور على معنى الخلق عند تفسير كلمة (الأنام) ولعل توجيه النظر إلى دلالات اللغة بشأنها تشير إلى عموم المعنى واستغراقه لمفهوم المخلوقات، ولكن بالنظر إلى توجيه المفسرين في تحديد معناها الذي ربما نظروا فيه إلى مآلات الأشياء ومقاصدها، حيث إن الله جعل كثيراً من مخلوقاته مسخرة

---

(1) عن تفسير التحرير والتنوير، 27/ 240، مرجع سابق.

(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط1، الجمهورية العربية، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1387هـ ـ 1967م، 17/ 155.

(3) البحر المحيط 10/ 57، مرجع سابق.

(4) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ولأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، (م127هـ)، ط4، بيروت، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، 27/ 103.

(5) البحر المحيط 10/ 57، مرجع سابق.

لخدمة الإنسان فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ سورة البقرة، الآية: 29، كما جعله مكرماً على هذه الأرض ومستخلفاً عليها.

عليه فعند تفسيرهم لهذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ الرحمن، الآية: 10، فكان أن جرى منهم تخصيص المنفعة الآيلة للإنسان من الأرض، وأن الآية جاءت في سياق الامتنان على الإنسان بالنعم الكثيرة ومنها توطئة الأرض لهم[1]، وذلك ليتنفعوا بها، وبما فيها، وبما عليها، وهذا الفعل الغالب لا يقع إلا من الإنسان على الأرض، لذلك فسروها ببعض تلك الأوجه، ولكن ميلهم كان نحو الثقلين، ثم قصره على الناس على وجه الخصوص لذلك الاعتبار، وهذه النظرة يسندها تحمل الإنسان بأعباء الأمانة التي تكفل بحاملها بعد أن أشفقت من حملها بقية المخلوقات انظر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ سورة الأحزاب الآية: 72، لذلك يمكن القول بأنه إذا ذكرت (الأنام) في التفاسير عني بها على الوجه الغالب (الإنسان) كما أنه هو المعني المرجح من تفسير (الأنام) في سورة الرحمن الجاري والمتبادر إلى الذهن في سياق الآية[2]، وذلك لا يمنع من القول بأن معنى (الأنام) يعني جميع المعاني السابق ذكرها فلا تضارب إذن بين مفهوم اللغة والتفسير باعتبار النظر والتدقيق.

(1) انظر: تفسير الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، 29/ 98، مرجع سابق.

(2) انظر: تفسير التحرير والتنوير، 27/ 240، مرجع سابق.

ولا يُهاجُ إذا ما أنفُه وَرما

أي لا يُعَلم عند الغضب، ويقولون «وجَعُهُ حيث لا يضع الرقي أُنْفَه» يضرب لما لا دواء له[1].

ويقولون «مات حتفَ أنفه» أي موتاً طبيعياً، و«رَغم أنفُه» ذلَّ و«حمى أنفَه» عزّ، والأَنوف من العار؛ من تنزّه وترفع عنه، والاسم: الأنفة؛ وهي عزة النفس[2].

واستأنف الشيء؛ أخذ فيه وابتدأه، ومنه استئناف الدعوى أي إعادتها إلى محكمة الاستئناف أو مجلس الاستئناف، ومنه ذكرته أنفاً: أي من وقت قريب أو مذ ساعة، وأنفاً منصوب على الظرفية، وأنفة الشباب، ميعته وأوله، ونما به أُنُف لم يرعها أحد، كأس أُنُف؛ لم يشرب منها أحد أو لم يشرب بها.

نسبت العزة والأنفة والذلة والغضب للأنف، وقصة بني أنف الناقة مشهورة؛ قال أبو عبيدة إن بني جعفر بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد نحروا جزوراً كانوا غنموها في بعض غزواتهم وقد تخلف جعفر بن قريع فجاء ولم يبقَ من الناقة إلا الأنف، فذهب به، فسموه به، وصار الاسم «أنف الناقة» ذماً لآل جعفر إلى أن قال فيهم الحطيئة:

قومٌ هم الأنفُ والأذناب غيرهم ومن يسوِّي بأنف الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك مدحاً لهم، تقول العرب «فلان أنْفي: أي عزي وافتخاري قال الشاعر:

وأنفي في المقامة وافتخاري.

---

(1) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، مادة: أنف، الجزء الأول، ط دار الكتب العلمية ـ لبنان.

(2) المنجد في اللغة والأعلام، ط بيروت 1969م.